

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلة الرأسخون مجلة عالمية محكمة

ISSN: 2462-2508

Volume 12, Issue 3, September 2026

الإصدار الثاني عشر، العدد الثالث، سبتمبر 2026



هيئة التحرير



مدير هيئة التحرير

الأستاذ المشارك الدكتور /

محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

نائب مدير هيئة التحرير (أول)

الأستاذ المساعد الدكتور /

سامي سمير عبد القوي

نائب مدير هيئة التحرير (ثان)

الأستاذ المشارك الدكتور /

عبد الكريم أحمد مغاوري

سكرتيرة هيئة التحرير

الأستاذة / دينا فتحي حسين



ARRASIKHUN JOURNAL

لإرسال المقالات والمشاركات
عبر البريد الإلكتروني

arrasikhun.journal@mediu.edu.my

فهرس العدد

المصطلحات النقدية عند أشهر علماء القراءات القرآنية المتقدمين المتعلقة بقبول القراءة وأثرها (دراسة تحليلية مقارنة).....	7
افتراءات المشركين الواردة في القرآن الكريم المتضمنة القدح في الوحي، ومنهج القرآن في الرد عليها (جمعاً ودراسة).....	3 7
الأحاديث الحسنة التي أخرجها ابن حبان في صحيحه: كتاب الأدعية نموذجاً (جمعاً ودراسة).....	6 3
تعقبات ابن حجر والبقاعي على الحافظ العراقي في التعريفات الحديثية: جمعاً ودراسة (الحديث الحسن نموذجاً).....	8 7
الدفع الموضوعية بالإكراه والصورية والمماثلة في دعاوى البيوع (دراسة تطبيقية على القضاء السعودي).....	1 1 9
«الْقَوْلُ بِالْمَحْظُورِ عَنْ نَقْلِ عَنَاءِ الْمَحْجُورِ» تأليف: الفقيه العلامة كمال الدين موسى بن أحمد بن موسى الحكمي الصِّجَاجِيِّ الزَّيْدِيِّ (المتوفى بعد 997هـ): دراسة وتحقيقاً.....	1 4 5
مُقَوِّمَاتُ الدَّاعِيَةِ فِي كِتَابِ «الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمَنْحِ الْمَرْعِيَّةِ» لِلْإِمَامِ ابْنِ مُفْلِحِ الْحَنْبَلِيِّ (ت: 763هـ) دراسة تحليلية.....	1 8 5
الحداثة؛ مفهومها، وأسسها: دراسة نقدية.....	2 0 7
الاستفهام بحرفي الاستفهام: «هل» والهمزة في سنن الترمذي (دراسة نحوية تطبيقية على نماذج مختارة).....	2 3 3
التوجيه الصرفي لقراءات الأفعال في سورة الحجر (دراسة تحليلية من خلال كتاب «فتح البيان في مقاصد القرآن» للإمام صديق حسن خان).....	2 4 7
الشبهات الإلحادية المعاصرة لدى طلاب المرحلة الثانوية: الأسباب وسبل المعالجة.....	2 7 3
أثر إستراتيجية الرياضيات الواقعية في تنمية مهارات حل المشكلات الرياضية لدى طلاب المرحلة المتوسطة بمدينة جدة.....	3 1 1

الحداثة؛ مفهومها، وأسسها: دراسة نقدية

(Modernity: Its Concept and Foundations (A Critical Study

Al-Madinah International University
Journal Of Arrasikhun Journal,
Volume 12, Issue 3, September 2026
Copyright © 2026 Ahlam Muhammad Saad
Al-Wadi

Manuscript Received Date: 2026/5/22 |
Manuscript Acceptance Date: 2026/6/13 |
Manuscript Published Date: 2026/9/30
DOI: 10.63226/arr.v12i3.6104

د. أحلام محمد سعد الوادي

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة جامعة أم القرى

Dr. Ahlam Muhammad Saad Al-Wadi

amwady@uqu.edu.sa

المستخلص

تناول هذا البحث دراسة مفهوم الحداثة وأسسها - دراسة نقدية -، حيث يهدف البحث إلى تجلية معنى الحداثة وبيان مفهومها الدقيق من خلال السياق التاريخي والفلسفي، وتسليط الضوء على الأسس الفلسفية التي تقوم عليها الحداثة، مع تقديم نقد للحداثة من المنظور الإسلامي. وقد استخدمت الباحثة المنهج التحليلي النقدي والمنهج المقارن والمنهج الوصفي، وقد توصلت الباحثة إلى نتائج البحث التي من أهمها: أن الإسلام يمتلك من الخصائص والميزات ما يسمح له بمواجهة تحديات الحداثة عبر منهج التجديد والاجتهاد الذي يحافظ على الأصل والقيم ويقدم حلولاً واعية لمشكلات العصر، كما أن الحرية في الإسلام قيمة إنسانية غاليا لا ينبغي السطو عليها وتحويلها عن وجهتها.

الكلمات المفتاحية:

الحداثة - التيارات - الفكرية - الإسلام.



Abstract

This study examines the concept of modernity and its foundations from a critical perspective. It aims to elucidate the meaning of modernity and clarify its precise conceptual framework through its historical and philosophical contexts, while highlighting the philosophical foundations upon which modernity is based and presenting a critique of modernity from an Islamic perspective. The researcher employed the critical-analytical, comparative, and descriptive approaches. The study reached several findings, the most important of which is that Islam possesses characteristics and distinctive features that enable it to address the challenges posed by modernity through a methodology of renewal and *ijtihad* that preserves fundamental principles and values while providing thoughtful solutions to the problems of the contemporary age. The study also found that freedom is a supreme human value in Islam and should not be appropriated or diverted from its proper purpose.

Keywords

Modernity; Intellectual Currents; Islam.



المقدمة:

الفلسفة للحدث من وجهة نظر إسلامية.

3. المساهمة في تصحيح المفاهيم المغلوطة التي تُروّج في الساحة الإسلامية المرتبطة بالحدث.

4. سد فراغ في الدراسات المقارنة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث والمعاصر.

مشكلة البحث وأسئلته:

تعدّ الحادثة من أبرز التيارات الفكرية التي أثّرت في تشكيل الوعي الإنساني في العصر الحديث والمعاصر، إذ قامت على أسس فلسفية وعقدية ذات منشأ غربي، جعلت الإنسان مركزاً للكون، ورفعت من شأن العقل المجرد، وأعلت من قيم الحرية الفردية المطلقة، ونسيت القيم والأخلاق، وهذه الأسس تصطدم مع ما جاء به الإسلام من حقائق عن الوجود والمعرفة والقيم، وهذا يطرح عدة تساؤلات:

1. ما مفهوم الحادثة في الفكر الغربي؟
2. ما أبرز أسسها الفكرية والفلسفية؟
3. كيف يمكن نقد الأسس الفكرية والفلسفية للحادثة من المنظور الإسلامي؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان مفهوم الحادثة من الناحية اللغوية والفكرية والفلسفية.
2. تحديد الأسس التي قامت عليها الحادثة الغربية.

الحمد لله رب العالمين، خلق فسوى، وقدر فهدى، والصلاة والسلام على إمام الهدى، الرحمة المهداة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يموج العصر الحاضر بالكثير من الأفكار والمفاهيم والنظريات التي سادت في الغرب نتيجة ظروف دينية وسياسية واجتماعية أفرزتها، ويرام توطيد تلك النظريات والقيم والظواهر في عالمنا الإسلامي؛ ومنها الحادثة، وهي ظاهرة تاريخية وثقافية بدأت في الغرب، وأثّرت على مختلف المجتمعات، فتداخلت في الفكر الاجتماعي، والسياسي، والثقافي، والديني، والاجتماعي.

وقد تسللت هذه الظاهرة إلى المجتمعات الإسلامية بعدة طرق، فثارت أسئلة حول مدى جوازها، وكيفية استقبالها أو مقاومتها، فأردت أن أدرس هذه الظاهرة مساهمة مني في بيان نظرة الإسلام لها وتقييمها ونقدها، فجعلته تحت مسمى: (الحادثة؛ مفهومها، وأسسها؛ دراسة نقدية)، ومن الله تعالى أستمد العون والسداد.

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث في النقاط التالية:

1. معالجة البحث لقضية فكرية وظاهرة خطيرة تمس علاقة الأمة الإسلامية بالتحويلات الفكرية المعاصرة من حولها.
2. تقديم نقد علمي أصيل ورصين للأسس

3. الكشف عن الخلفيات العقدية والفكرية لهذه المنهج التحليلي النقدي؛ لتحليل المفاهيم والأسس. والأفكار الحداثية، ومناقشتها.

4. تحليل موقف الإسلام من الأسس التي قامت عليها الحداثة نقدًا وتأصيلًا. والمنهج المقارن؛ للمقارنة بين الرؤية الحداثية وما يقابلها من أصول وقواعد وقيم في الإسلام.

الدراسات السابقة:

هناك أبحاث تناولت موضوع الحداثة بالدراسة والنقد، إما ببحث عام عن الحداثة أو بحث جانب معين؛ منها على سبيل المثال:

خطة البحث:

1. بحث بعنوان (القراءة الحداثية ومفهومها ونشأتها وسماتها)، للمؤلف: هادي بهجت صبري ومحسن سعيد الخالدي، المجلة العربية للنشر العلمي، 2023م.

2. بحث محكم بعنوان (الحداثة وما بعدها من منظور عقدي)، للباحثة الدكتورة: مشاعل خالد باقاسي، مجلة العلوم الإسلامية الدولية، 2022م.

3. بحث بعنوان (استلاب الحداثيين مسألة خلق القرآن الكريم) - دراسة ونقد -، للمؤلف: الدكتور جابر منصور أبو الحمد، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، 2022م.

4. بحث بعنوان (الحداثة من منظور الإسلام)، للمؤلف: أحمد عبد الحميد سيد أحمد، الدوريات المصرية، 2020م.

منهج البحث:

اتبع في هذا البحث المناهج التالية:

وقيل هي: «حركة انفصال، إنها تقاطع مع التراث والماضي، ولكن لا لنبذه وإنما لاحتوائه وتلوينه وإدماجه في مخاضها المتجدد»⁽⁵⁾.

والحادثة إذن؛ يقصد بها جملة من القيم والمبادئ التي ظهرت في الفكر الغربي، كالتركيز على العقل، والتفكيك، والحرية الفردية، والتغيير، والتطرف بالعلمانية، أي: فصل الدين عن الحياة.

والحادثة بهذا المفهوم؛ تعني التخلص من الماضي الإسلامي بكل مكوناته، والتحليل من ربة الدين بكل عقائده وتشريعاته وقيمه الخلقية.

فالغرض منها ليس بلوغ مرتبة عالية من النضج الفكري والتقدم الحضاري؛ بل اشتراء العقيدة والشريعة والقيم والأخلاق الإسلامية الأصيلة بالأفكار والمبادئ والقيم المادية الغربية؛ بغية تعميق جذور التبعية لها، وزيادة القطعية بين الدين وأتباعه، ومن أجل ذوبان شخصية المسلم، وطمس هوية الأمة واستلابها فكرياً وثقافياً واجتماعياً⁽⁶⁾.

أما عن موقف الإقصاء والتنكر الكلي للدين فهو فكر قلة من أرباب الحداثة ودعاتها، فالاتجاه الفكري السائد لدى جمهور الحداثيين هو عدم رفض التراث برمته؛ وإنما توظيفه وتفعيله بحسب

المبحث الأول: مفهوم الحداثة، ونشأتها، وأسسها الفلسفية والفكرية

المطلب الأول: مفهوم الحداثة في اللغة والاصطلاح.

الحداثة في اللغة:

الحداثة: مشتقة من (حَدَثَ)، وهي تدل على نقيض القدم، يقال: حدث الشيءُ حَدوثًا وحَدَاثةً، أي ظهر وتجدد؛ فهي تعبر عن كل ما هو جديد وحديث من الأمور⁽¹⁾.

وهي تعبير عصري، أصله الكلمة الإنجليزية (modernism) بمعنى: الحداثة، وتشمل كلمة (modernist) الحداثي، والتجديدي، والعصري⁽²⁾.

الحداثة في الاصطلاح:

تعددت تعريفات المفكرين للحداثة وتنوعت؛ فمن التعريفات التي ذكرت:

قال جيف ماونتاین: هي «سلسلة من التحولات في المجتمع المعاصر، قائمة على أساس التمدن والتصنيع والعلم والتكنولوجيا، والتي أصبحت أساساً لفكرة الشك الديني، وعدم الاعتقاد بصحة الكتب المقدسة»⁽³⁾.

وقيل هي: «مجموع التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية ذات المنشأ الغربي، وتأثيراتها على النخب الفكرية والسياسية في العالم الإسلامي»⁽⁴⁾.

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور (مادة حدث)، (131/2).

(2) انظر: قاموس المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1967م، (ص 735 - 736).

(3) ما بعد الحداثة، باسم علي خريسان، دار الفكر، دمشق، ط1، 2006م، (ص 47).

(4) أزمة الحداثة الغربية، عبد العزيز بوالشعير، مجلة

إسلامية المعرفة، العدد (79)، 2014م، (ص 1).

(5) الحداثة، دفاتر فلسفية، محمد سبيلا، دار توبقال للنشر، المغرب، د. ت، (ص 3).

(6) انظر: أثر الحضارة الغربية على المجتمعات الإسلامية، جاد محمد عبد العزيز، دار السلام، القاهرة، 2010م، (ص 135).

مما ينقمة لوثر توريط المؤسسة الكنسية في سلسلة من الصراعات الدبلوماسية والعسكرية، فأتته أوامر البابا ليو العاشر بالإذعان؛ لكنه أحرق الخطاب أمام الملاء، وأعلن عصيانه وانتشرت دعوته سريعاً في أرجاء أوروبا، ومع أن طابع هذه الحركة طابعٌ محافظٌ إلا أنه تحركٌ ثوريٌّ غير مسبوق في الثقافة الغربية بوصفه تأكيداً للضمير الفردي أمام الإطار الديني السائد في المعتقد والشعائر والطقوس، فالفرد هو من يعكف على الإنجيل وتفسيره وفق وجدانه وعلاقته بربه - وهذه النقطة هي من مسرعات ظهور الفردانية والعقلانية المستقلة عن أي مرجعية التي هي أهم دعائم نشوء الحداثة - مما فتح الباب لظهور التشكُّك والتعددية الدينية فيما بعد⁽³⁾.

يقول ويل ديورانت: «إن حركة الإصلاح البروتستانتي برغم تعصبها في أول عهدها أسدت صنيعين لحركة التنوير؛ فقد حطمت سلطان العقيدة، وبعثت عشرات الملل والنحل التي لو وجدت قبلها لماتت حرقاً، وسمحت بأن يقوم فيما بينها جدلٌ كان من القوة بحيث اعترف في النهاية بأن العقل هو المحكمة التي يتعين على جميع المذاهب أن تتراجع أمامها عن قضاياها ما لم تكن مسلحة بقوة مادية لا تقاوم، وفي تلك المرافعة في ذلك الهجوم والدفاع تضعضعت كل المذاهب والعقائد، ولم ينقض قرن على تمجيد

(3) انظر: آلام العقل الغربي، ريتشارد تارناس، ترجمة: فاضل جكتر، مكتبة العبيكان وكلمة، 2010م، (ص 278)، وتاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبيرج، ترجمة: أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، ط 3، 1994م، (ص 34).

ما تمليه عليهم عقولهم، وبما يتفق مع أهدافهم ويتماشى مع شهواتهم، ولذا نجدهم يروجون لفكرة الحداثة المتصالحة مع التراث، ومع موروث البشرية في مجمله⁽¹⁾.

المطلب الثاني: السياق التاريخي والفلسفي للحداثة:

الحداثة ظاهرة فلسفية ثقافية غريبة معقدة لها ترابطها واشتباكها وانعكاساتها على الحراك الإنساني في الاجتماع أو الأفكار أو العلوم أو الاعتقاد، حيث أثرت في حياة الإنسان الغربي وفي كل نواحيه⁽²⁾.

عصر النهضة:

من أهم محطات نشأة الحداثة ظهور الحركة الدينية الإصلاحية في أوروبا من خلال أعمال مارتن لوثر (ت: 1546م)، التي كان لها أثر في دفع العالم الغربي نحو التجديد والتحديث، فلوثر لم يرضَ بالوصاية التي فرضتها الكنيسة على الناس، ووصل الأمر إلى بيع صكوك الغفران، وحكر فهم الأناجيل على أرباب الكنائس، والعصمة التي أُعطيت للبابوات، وظهر ذلك وشاع وذاع حين اعترض لوثر على القديس حنّا في بيع صكوك الغفران سنة 1517م في ألمانيا، فنشر لوثر أطروحته الخمس والتسعين، وكان

(1) انظر: الحداثة في العالم العربي (دراسة عقديّة)، محمد العلي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1415هـ، (4/ 1237-1238) بتصرف، ولهذا يقول أدونيس الحداثي السوري: «رفض الماضي رفضاً تاماً عبارة متناقضة جوهرياً»، انظر: زمن الشعر، أدونيس، (ص 127).

(2) انظر: مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، محمد عبد الله الشيخ، وياسر الطائري، دار الطليعة، بيروت، 1996م، (ص 11).

عشر، بدءاً من آرائه السياسية التي دعا فيها إلى ديمقراطية دستورية تحترم مطالب الشعب وحقوقه، وينادي فيها بالحرية والمساواة اللتان بهما يتحقق العدل الاجتماعي، كما دعا إلى التسامح الديني، وألا يُتدخل فيها إلا إذا عارضت مبادئ اجتماعية، ووضع نظرية المعرفة في كتابه (مقالة في العقل البشري) التي حاول فيها أن يدرس العقل البشري من جهة عمله ووظيفته، ويستنتج كيف يكون تكوين المعرفة ومن أين تُستمد⁽³⁾.

وقد كان لهذه النظرية أثرٌ كبيرٌ في التفكير الفلسفي طوال القرن الثامن عشر الميلادي؛ سواء كان ذلك في بريطانيا أو في ألمانيا وفرنسا⁽⁴⁾.

وهكذا كان القرن السابع عشر الميلادي وسيطاً بين عصر النهضة وعصر التنوير.

عصر التنوير:

وفي هذا العصر - وهو القرن الثامن عشر الميلادي - بدأت تتضح معالم اكتمال الحداثة، فالسمات التي كانت في تلك الحقبة من: مركزية للعقل، واعتباره الموصل للحقائق، وشيوع النقد على كل المستويات؛ مصاحباً لانتشار السخرية والهجاء، وتهوين شأن الدين والتدين، وأنه غدا فرعاً من الفروع، وبرزت في هذا القرن أسماءٌ كان لها الأثر البالغ في ترسيخ السمات السابقة، وذلك بجهود ديفيد هيوم (ت: 1776م) وأفكاره ومنهجه

لوثر للإيمان حتى أعلن فرانسيس بيكون أن المعرفة قوة، وفي القرن السابع عشر قدّم المفكرون الفلسفة بديلاً للدين، وأساساً له، ومنه:

1. رينيه ديكارت (ت: 1650م).

2. وتوماس هوبز (ت: 1679م).

3. واسبينوزا (ت: 1677م).

4. وجون لوك (ت: 1704م)⁽¹⁾.

وهكذا كان عصر النهضة محطة لتكوين ووضع الركائز التي منها انطلقت بوادر الحداثة بعد قرنين منه، فأحداثه وتغييراته كان لها أثرها على ما بعدها.

ويسمى القرن السابع عشر قرن المناهج؛ حيث وجدت المنهجيات الفلسفية، ومن أهم أولئك الفلاسفة وأشهرهم فرانسيس بيكون (ت: 1626م)؛ الذي أرسى قواعد المنهج التجريبي في زمنه، وإن كانت التجربة والاستقراء سار عليهما خلق كثير قبله، ثم ظهر ديكارت (ت: 1650م) صاحب الثورة العقلية والحركة الفكرية، فلم يكن أقل شأناً من بيكون في الدعوة إلى الانسلاخ من الماضي، واتفقا على ضرورة الشك المنهجي، وعلى عدم التسليم ما لم يدل دليل يكون فوق كل الشكوك⁽²⁾.

ثم ظهر جون لوك (ت: 1704م)؛ فهو حسيّ تجريبيّ، كانت فلسفته وآراؤه لهما قصب السبق في ظل المناقشات التي كثرت واشتدت في القرن السابع

(3) انظر: المرجع نفسه، (ص 129)، ودروس في الفلسفة، يوسف كرم، وإبراهيم مذكور، عالم الأدب، بيروت، 2016م، (ص 402) وما بعدها.

(4) انظر: المرجع نفسه، (ص 410).

(1) قصة الحضارة، ويل ديورانت، ترجمة: فؤاد أندراوس، ج 27، دار الجيل، 1988م، (27/ 260-261).

(2) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، (ص 76).

اكتمال الفكر الحدائي:

دخل القرن التاسع عشر الميلادي الذي صارت فيه الحياة الفكرية أكثر تعقيداً من أي عصر سابق، وهذا يعود إلى عدة أسباب:

أولها: اتساع المساحة الفكرية أكبر من ذي قبل، إذ قدمت أمريكا وروسيا إسهامات مهمة في هذا المجال، كما صارت أوروبا أكثر وعياً وفهماً من السابق للفلسفات الهندية؛ القديم منها والحديث. ثانيها: العلم؛ الذي بات مصدراً رئيسياً للاكتشافات الجديدة منذ القرن السابع عشر الميلادي، وقام بفتوحات علمية جديدة، لا سيما في علوم الجيولوجيا، والبيولوجيا، والكيمياء العضوية، والأدوية وغيرها.

ثالثها: اختراع الآلة الذي غيّر البنية الاجتماعية تغييراً عميقاً، ومنح الناس مفهوماً جديداً عن قدراتهم فيما يتعلق بالبيئة الطبيعية من حولهم.

رابعاً: الثورة الكبيرة؛ في المجالين الفلسفي والسياسي على حد سواء، على المناهج التقليدية في الفكر السياسي والاقتصادي، التي أدت إلى الهجوم وانتقاد الكثير من المعتقدات والمؤسسات التي كانت حتى ذلك الحين تعتبر غير قابلة للمس أو التوجه إليها بالنقد⁽³⁾.

ومن أشهر رموز هذا القرن وأبرزهم وأكثرهم أثراً؛ الفيلسوف الألماني جورج هيغل (ت: 1831م)،

برتراند راسل، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين، ط1، 2020م، (ص835-869).

(3) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية (ص889).

الشكي، ومادية هولباخ (ت: 1789م)، وكتابات جان جاك روسو (ت: 1778م)، ومونتسكيو (ت: 1755م)، واهتمامهما بالنظرة السياسية والاجتماعية، مما دفع بخطى هذا القرن نحو مثل الحداثة.

وقد تميز القرن الثامن عشر بوجود ثلاث ثورات مهمة في مسلك تكوّن الحداثة وسياقها:

الثورة الأولى هي: الثورة الصناعية؛ التي كانت نتيجتها اكتشاف الكهرباء في منتصف القرن الثامن عشر، وفي نهايته اختراع القاطرات التجارية، وإطلاق المناطيد الهوائية، كل ذلك يلمح للوصول مستقبلاً لمكتشفات أخرى كالسيارة والطائرة.

الثورة الثانية وهي: الثورة الفرنسية؛ وهي حدث عظيم، ومرحلة مسؤولة في تشكيل هوية العالم الغربي، حيث قامت بعكس نظريات فلاسفة القرن الثامن عشر، فرصدت عواطفهم وانفعالاتهم، ووضعت الخاتمة لحقبتهم الزمنية.

الثورة الثالثة وهي: الثورة الرومانتيكية⁽¹⁾؛ التي جاءت كردة فعل مضاد لعهد التنوير الذي ألغى كل ما سوى النفع المادي والآلية، ورجع في هذه الثورة اعتبار الأشعار والخيال والعاطفة، وصارت ثورة على المعايير الأخلاقية والجمالية المتوارثة، وتحررت فيها الشخصية البشرية من القيود الاجتماعية والأخلاقية⁽²⁾.

(1) اتجاه فكري وجمالي، يُعرف بالعودة للطبيعة وإيثار الحس والعاطفة على العقل والمنطق والإعلاء من شأن الخيال. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (963/2).

(2) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، (ص292-297)، ودروس في الفلسفة، (ص441)، وتاريخ الفلسفة الغربية،

فجعل هيغل الحداثة تجدد توازنها من ذاتها، ومن المسالك التي رسمتها بنفسها؛ فالذي يميز الحداثة هي الذاتية التي تحمل في داخلها الفردية التي لها أن تعبر وتنقد، ولا تخضع للسلطة، وألا يقبل أحد شيئاً إلا ما بدا له أنه مقبول ومساغ⁽³⁾.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي ظهر نيتشه (ت: 1900م) وفرويد (ت: 1939م)؛ حيث كانت كتابتهما الأدبية والنفسية مغيّرة لكثير من أسس الحداثة ومرتكزاتها، فنيّشه كان من الأدباء الذين أوصلوا فكرتهم من خلال كتاباته ونقديّاته؛ وكانت له رواية شهيرة بثّ فيها أصول أفكاره ونظريته للحياة، فتمسك بالأصل المادي، وأنكر الغيبيات، وأشكال الثبات في الوجود ومن قيم ومبادئ وكليات، وأن الحقائق ما هي إلا نسبية، وانتقد العقلية التي جاءت بها تشكلات عصر الأنوار، وأوضح أن ذلك تعلّق بالوهم، وأن مركزية الإنسان مركزية زائفة؛ فهو مجرد كائن من عرض الطبيعة التي نفى عنها قداستها⁽⁴⁾.

وبدأت بكتابات نيتشه مرحلة جديدة هي مرحلة (3) انظر: نقد يورغن هابرماس للحداثة، زهير بن تيشة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2017م، (ص 15)، والقول الفلسفي، هابرماس، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1995م، (ص 49)، وما بعد الحداثة والتنوير، الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2009م، (ص 45-50).

(4) عنوان الرواية (هكذا تكلم زرادشت) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، (ص 493)، والفلسفة الألمانية، أندرو بووي، ترجمة: محمد سلامة، مؤسسة هنداي، 2014م، (ص 69)، ودروب ما بعد الحداثة، بدر الدين مصطفى، مؤسسة هنداي، 2018م، (ص 16).

وهو خليفة الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (ت: 1804م)، وله بالغ الأثر في تأسيس مذهب الأخير؛ واكتماله في فلسفة شاملة موحدة توحيداً استثنائياً، ورغم صعوبة فلسفته إلا أن نفوذها كان كبيراً، وفكرته في الصلات والعلاقات سواء هي صلة التعارض أو التناقض؛ فـ «كل حالة لفكرة أو شيء، وكل رأي وكل موقف في العالم يؤدي إلى موقف معارض له، وبعدئذ يتحد هذا المعارض أو المضاد معه لتشكيل كلّ أعلى. إنّ «هيغل» يدخل هذه «الحركة المنطقية» في كل ما كتبه من كتب وألقاه من محاضرات»⁽¹⁾.

ومن أكثر الشخصيات -أيضاً- تأثيراً في هذا القرن على مسارات عدة؛ داروين (ت: 1882م)، ومع أنه لم يكن فيلسوفاً إلا أن نظريته العلمية في الأحياء (نظرية النشوء والارتقاء) كانت مدوّية في العديد من الحقول العلمية والاجتماعية والفكرية، بل حتى الاقتصادية⁽²⁾.

فالقرن التاسع عشر الميلادي يعطي ملامح اكتمال الفكر الحداثي ظاهراً في واقع الناس ومفاهيمهم؛ فبدء ظهور خطوات الحداثة كانت من قبل عصر النهضة، ولكن الوعي بالحداثة لم يكن باديّاً مكتملاً إلا من بعد هيغل؛ الذي كشف عن أهمية تاريخ الفكر للمفكر، وأن الحداثة لها جذورها التاريخية، وأنها ليست شيئاً خيالياً أسطورياً،

(1) قصة الفلسفة، ويل ديورانت، (ص 348).

(2) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مؤسسة هنداي، 2012م، (ص 373)، ومدخل إلى المادية الجدلية، موريس كورنفورث، ترجمة محمد مصطفى، دار الفارابي، ط5، 2015م، (40/1)، وآلام العقل الغربي، (ص 388).

للعقل والإرادة دفعةً واحدةً، التي هي أهم ركائز التنوير والحداثة، مع أن العقل بالنسبة إلى فرويد هو الوسيلة في الحصول على معنى الحياة، والإعفاء من الأوهام وتقييد أي سلطة لصالح سلطة الذات.

ومن خلال هذه النظرة السريعة لنشأة الحداثة وسياقها التاريخي تتضح معالم أساسية في كيفية تعاطي العقلية الحداثية مع وقائع فكرية وفلسفية، بحثًا عن حلولٍ عن أسئلة الوجود والمعنى، نستلهم من تلك المعالم أصولًا معرفيةً وأخلاقيةً تفرّعت من تلك الأفكار وحقائقها، وهي ما سيتضح معنا في ثنايا البحث.

المطلب الثالث: الأسس الفلسفية للحداثة:

تقوم الحداثة على أسس فلسفية عديدة؛ أهمها:

الذاتية (الفردانية):

هي الحالة التي يكون فيها الفرد كيانًا مستقلاً ومتفردًا عن الجماعات التي ينتمي إليها، وقادرًا على اتخاذ قراراته استنادًا إلى إمكانياته الخاصة وقدراته المستقلة عن أفراد الجماعة الآخرين الذين ينتمي إليهم الفرد⁽³⁾.

وقيل: هي نزعة أو سلوك يؤكد على الخصائص الذاتية للفرد، وعلى سماته ومميزاته الخاصة، وذلك بما يتعارض مع ما هو جماعي وعام ومشترك مع الآخرين، وهذا يعني أن الفردانية تؤكد ما هو خاص وشخصي ومتفرد، أي أن الفرد - في النهاية -

الحداثة السائلة؛ وكان له أثر كبير فيها بأن: «حاول تحطيم كل ما كان الفلاسفة يسمونه في الماضي مقدسًا وخيرًا وحقًا وجميلًا ومطلقًا وكليًا، وذلك حتى يتسم القضاء تمامًا على اليقين المعرفي والأساس الديني للأخلاق وحسب؛ وإنما يتم القضاء أيضًا على أي يقين معرفي، بل وعلى مفهوم أو فكرة الأخلاق ذاتها، وعلى أية مركزية لأي شيء، إلهاً كان أم إنسانًا، بل وعلى فكرة الوجود الثابت ذاتها، وفكرة الكل الذي يتجاوز الأشياء. أي أن العالم بذلك يصبح نسقًا سائلًا بلا يقين أو معنى أو غاية أو كينونة أو هوية، والإنسان يصبح بلا ذات، ولا حدود، ولا استقلال، ولا مركزية»⁽¹⁾.

فكل ما ارتكزت عليه الحداثة حطمه نيتشه وهدمه، فلما جاء فرويد كشف عن رؤيته في علم النفس التي كان لها صدىً قويٌّ في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي⁽²⁾.

وكانت قضية اللاشعور هي الحائزة على الجزء الأكبر من دراساته وأبحاثه وتجاربه، ليُخبر أن اللاشعور فاعل في اختياراتنا وأفعالنا، وقد تشكّل عبر الطفولة والمراهقة والمواقف، فيُخبر أن الإنسان لديه ثلاثة مناخ؛ الأنا الأعلى (القيم والمثل)، والهو (الغبات واللاشعور)؛ وهذان بينهما تصادم وتضاد، ويُمتحن بهذا التصادم الأنا (الذات وواقعه)، فإذا كان فرويد يُخبر أن نشاط الإنسان دافعه اللاشعور واللا وعي، وأن فكر الإنسان ووعيه يسيطران على جزء يسير من سلوكياته، فهو بذلك يسدد ضربة

(3) انظر: الفردانية: قراءة في المفهوم والتمظهرات، مفيدة خروبي، مجلة مجتمع تربية عمل، جامعة ورقلة، الجزائر، المجلد (8)، العدد (1)، 2023م، (ص 197).

(1) في نقد الخطاب الحداثي، عبد الله أداكوس، المركز الثقافي العربي، ط1، 2014م، (ص 28-29).

(2) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، (ص 496).

الفكرية التي روجت لقيم الحرية والاستقلالية الفردية. وقد تعززت تجليات ظهور الفردانية مع نمو الرأسمالية والتحويلات الاقتصادية في الغرب، حيث أصبحت الفكرة القائلة بأن الفرد يجب أن يكون حرًا في تحقيق مصالحه الشخصية بغض النظر عن القيم أو المصلحة العامة من المبادئ الراسخة⁽⁴⁾.

مظاهر الفردانية:

تفكك الأسرة وظهور مؤسسات بديلة:

تغيرت الغايات من وجود كل أسرة إنسانية، فلم تعد هناك روابط بين أعضائها، خاصة أن هذه الأسرة قد تطورت عن مجموع انفصالات؛ الانفصال الأول عن عقد الزواج المقدس الذي تحركه الكنيسة، والانفصال الثاني عن العقد المدني حيث تحرر الزوجان من كل مسؤولية أسرية، ونشأ عن تفكك الأسرة مشاعر الاغتراب والقلق التي أدت بالعقل إلى محاولة التغيير في المجتمع عن طريق تحطيم كل المؤسسات القديمة بما تحمله من قيم ثار عليها ليتخلص منها، فكانت الدعوات المختلفة إلى إيجاد مؤسسات بديلة للأسرة تتكون من مجموعات من الجنسين، وظهر الخليل المؤقت عوضًا عن الزوج، وكثرت الأمهات أو الآباء الذين يعيشون حياة منعزلة بعضهم عن بعض ومجوزتهم أطفال لم يبلغوا سن النضج، كما ظهرت الأسر المختلطة نتيجة تعدد الزواج والطلاق⁽⁵⁾.

تنامي النزعة الاستهلاكية المفرطة:

حيث انتقل المجتمع من الاستهلاك الضروري إلى

(4) انظر: مفهوم الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، نورة عابد، (ص 248-250).

(5) انظر: الفردانية: قراءة في المفهوم والتمظهرات، مفيدة خروبي، (ص 204-205).

وفقًا لمفهوم الفردانية كائنٌ إنسانيٌّ يمتلك وحداته الداخلية، ويؤدي وظيفته كنسق ونظام متكامل، ويمتلك استقلالية خاصة في دائرة الوسط الذي ينتمي إليه⁽¹⁾.

وقيل: هي صورة الإنسان الذي يتميز عن الآخرين أو الجماعة بطرق تفكيره وعلمه ونظرته للوجود، وأنها حالة من إعطاء الفرد سمات وخصائص شخصية يتفرد بها، ويكتسب عبرها هويته المميزة⁽²⁾.

فالفردانية هي الأساس الأول من أسس الحداثة، وهي فلسفة اجتماعية أو سلوكية تضع الفرد في المركز، وتعتبر تحقيق الذات والحرية الشخصية هدفها الأسمى.

وقد بدأت هذه الفلسفة في الظهور بشكلٍ بارز خلال عصر النهضة في أوروبا، حيث تمرد الفكر الغربي على السلطة الدينية البابوية⁽³⁾ والجماعية، وأصبح الفرد وقيمه الشخصية محور الاهتمام، أما أصول الفردانية؛ فهي تعود إلى تطور الفلسفة الغربية، خاصةً مع ظهور التيارات

(1) انظر: الاغتراب والأنسنة في مفهوم الفردانية: المغامرة الفكرية الفردانية في الثقافة الغربية، علي أسعد وطفة، مجلة تعريب، المجلد (15)، العدد (28)، 2005م، (ص 129-153).

(2) انظر: المرجع السابق، ومفهوم الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، نورة عابد، مخبر الفلسفة وتاريخها، جامعة وهران 2، (ص 245).

(3) نسبة إلى البابا وهو أعلى درجة في السلم الكهنوتي والمرجعية العليا للكنائس الكاثوليكية، انظر: مظاهر الانعكاس السلبي لقيم الحداثة الغربية على الإنسان المعاصر: (الحرية، الفردانية)، محمد الأمين بكلي، ومصطفى وينتن، مجلة الشهاب، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد (11)، العدد (2)، 2025م، (ص 834).

الرمزي، وهكذا أصبح اقتناء البضاعة والمنتجات انتماء وهمياً لهويات رمزية، تتفوق على القيمة بحد ذاتها، وهذا ما يفسر إنفاق المبالغ الخيالية على الإعلان الذي يهدف ليس فقط إلى التنافس على السوق؛ بل أيضاً التلاعب بالرموز وتوظيف الأوهام والخيال والإغراء بالاستهلاك بما يحو التمييز بين الصورة والواقع⁽²⁾.

العقلانية المطلقة:

وهي مصطلح غربي وأساس من أسس الحداثة، وتعني العقلانية: إخضاع كل شيء لحاكمية العقل، مما يترتب عليه تنظيم وضبط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ضبطاً عقلانياً، لا فرق في ذلك بين شأن ديني أو دنيوي⁽³⁾.

ويعرف برينتون الحركة العقلانية بأنها: «مجموعة من الأفكار التي تُفضي إلى الاعتقاد بأن الكون يعمل على نحو ما يعمل العقل حين يفكر بصورة منطقية وموضوعية؛ ولهذا فإن الإنسان يمكنه في نهاية الأمر أن يفهم كل ما يدخل خبرته مثلما يفهم مشكلة رياضية أو ميكانيكية بسيطة. وتنزع العقلانية إلى إسقاط كل ما هو خارق للطبيعة أو غيبي من الكون، وأبقت فقط على الطبيعي، الذي

الاستهلاك الرفاهي، ثم إلى سيولته بمضامين الترف والهوس في الاستهلاك، واكتساب عادات استهلاكية جديدة، والهوس بالعلامات التجارية، فـ«لكي تسيطر على مجتمع ما لست بحاجة أن تسيطر على المحاكم أو الجيش فيه، كل ما عليك عمله هو أن تسيطر على قصصه، والتلفزيون والإعلام هو الذي يروي القصص لمعظم الناس معظم الوقت، ما بين التلفزيون والسينما والانترنت أصبح الإعلام هو المسيطر على الأرض، خلال هذه الساعات تركز معظم منتجات الإعلام على تعزيز الأنماط الاستهلاكية والترويج للقيم المادية، إما بصورة مباشرة عن طريق عرض أساليب الحياة المترفة التي يعيشها المشاهير والأغنياء، أو بصورة غير مباشرة عن طريق القصص التي تعزو القناعة بأن السعادة تأتي من تحسين الأوضاع المادية ومن شراء سلع جديدة وإنتاج الموضة⁽¹⁾».

تحول الثقافة إلى صناعة وظهور المواطن العالمي:

وذلك بسبب شيوع ثقافة الاستهلاك، وهذا أدى إلى السيولة الثقافية التي تقوم على المنطق السلعي والقيم الاستهلاكية التي تغري الجماهير وتجذبهم نحو الشراء وبصفة خاصة الاستخدام الأمثل للرأسمالية في اختراق الأدب والفن والأزياء للتقريب بين الثقافة الراقية والثقافة الجماهيرية، وهو ما يسمى بصناعة الثقافة الاستهلاكية.

لقد غدت الشركات المتنافسة على السوق لا تبيع المنتجات بل الرموز، بحيث لم تعد المنافسة قائمة على أساس نوعية الصناعة ومتانتها وجمالها وجدتها، بل أضحت المسألة مرتبطة بالصورة والانتماء

(1) دور الإعلام في تفعيل ثقافة ترشيد الاستهلاك، إيمان سوكال، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، الجزائر، العدد (47)، 2016م، (ص 326).

(2) انظر: سوسيولوجيا الهوية: جدييات الوعي والتفكك وإعادة البناء، عماد عبد الغني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2017م، (ص 129) وما بعدها.

(3) انظر: روح الحداثة، طه عبد الرحمن، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، (ص 26-27)، ونقد الحداثة، آلان تورين: ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 1977م، (ص 30)، والحداثة وما بعد الحداثة، محمد سيلا، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2000، (ص 26).

حيث عبّر عن إيمانه بوجود فواصل ما بين الطبيعة وما وراءها، مشيرًا إلى إمكانية إخضاع الأولى للعقل العلمي.

ويرى كانط أن العقل هو الملكة التي تمدنا بمبادئ المعرفة، وأنه لا يبحث في طبيعة الأشياء الخارجية، وإنما هو الذي يشرع لها⁽³⁾، جاعلاً من العقل المحكمة العليا التي يجب أن يمثل أمامها، بشكل عام، ما يدعي مصداقية ما ليبر ادعاه⁽⁴⁾.

يصف الحداثيون دعوة كانط بأنها تحول فلسفي أدى إلى تحرير العقل الغربي من هيمنة اللاهوت Theology، فأدت إلى ميلاد فلسفة علمية تهيمن على القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، كما يرى الحداثيون أن التغيرات التي طالت البنى القائمة حتمت صعود العقل وهيمنته بدرجة أهلت له ليؤدي دور المبادر في تطوير عدد مهم من النظريات والمفاهيم، حيث ظهرت مفاهيم تتعلق بعقلنة التنظيم المجتمعي، واقتحم العقل ساحة المفاهيم القديمة كالعدل والمساواة والديمقراطية ليعيد بناءها مجدداً.

واستمر سعي العقل في تحرير نفسه من كافة أشكال الاستلاب التي حرمتها من العمل الإيجابي لعصور طويلة، الأمر الذي أدى إلى ظهور العديد من العلماء الطبيعيين الذين أسسوا كثيراً من النظريات المعروفة الآن بالكلاسيكية، كما ظهر

يؤمن المفكر العقلاني أنه قابل للفهم في النهاية، وأن سبيلنا إلى فهمه في الغالب الأعم الوسائل التي يعرفها أكثرنا باسم مناهج البحث العلمي⁽¹⁾.

فالعقل وحده -عند الحداثيين- كافٍ في معرفة الحقيقة، بغض النظر عن الوحي أو النص، وهذه من أهم التجليات والأسس الفلسفية التي تقوم عليها الحداثة.

وتأخذ الحداثة ملامحها الأساسية من الفلسفة الوضعية التي أحدثت نوعاً من القطيعة مع التصورات الأبوية والكنسية التقليدية، مؤكدة أهمية المعرفة العلمية والعقلانية في شتى مناحي الحياة الاجتماعية واتجاهاتها.

«وتعد العقلانية مبتدأ الحداثة وخبرها... إنها انتصار للعقل في مختلف مجالات الحياة والوجود، في مجال العلم والحياة الاجتماعية، وغاية الحداثة هي بناء مجتمع عقلاني، وهذا يعني أن الحداثة هي ولادة جديدة لعالم يحكمه العقل، وتسوده العقلانية»⁽²⁾.

وترجع جذور العقلانية إلى القرن السادس عشر الميلادي، حيث دعا رينيه ديكارت (ت: 1596م) إلى إتاحة الفرصة أمام العقل لكي يعمل في بعض المساحات المعرفية، بيد أن إيمانويل كانط (ت: 1724م) يعد بحق رائد الثورة العقلانية من خلال إعلان المشهور في كتابه (نقد العقل الخالص)،

(1) تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، رقم (82)، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1963م، (ص 70-71).

(2) مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، علي أسعد وطفة، (ص 48).

(3) انظر: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، عطيات أبو السعود، الإسكندرية: منشأة المعارف، 2002م، (ص 62).

(4) انظر: القول الفلسفي للحداثة، هابرماس، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، 1995، (ص 33).

ويتجلى هنا أن العقلانية صارت أساساً من أسس الحداثة، وأن الدين مناقض للحرية والعقل معاً.

العلمنة:

العلمانية هي إحدى الأسس التي تقوم عليها الحداثة، و«تعني تحرر العالم من الفهم الديني وشبه الديني، إنها نبذاً لجميع الرؤى الكونية المغلقة وتحطيم لكل الأساطير الخارقة وللرموز المقدسة... إنها تعني أن يدير الإنسان ظهره لعالم ما وراء الطبيعة»⁽³⁾.

وقيل هي: «نزعة استقلالية بشرية انبنت على انسلاخ عن سيطرة المفاهيم الدينية على الإنسان»⁽⁴⁾.

وقيل: «هي نظرة شاملة للعالم، أي للإنسانية جمعاء، والكون كله تؤكد استقلالية العالم بكل مقوماته وأبعاده وقيمه تجاه الدين ومقوماته وقيمه، والاستقلالية تعني أن هناك قيماً ذاتية فعلية للعالم غير مستمدة من الدين وغير خاضعة له»⁽⁵⁾.

وفي معجم أكسفورد العلمانية تعني:

أ- دنيوي أو مادي، ليس دينياً ولا روحياً، مثل التربية اللادينية، الفن، الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية أو الحكومة المناقضة للكنيسة.

ب- الرأي الذي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية»⁽⁶⁾.

(3) العلمانيون والقرآن الكريم: تاريخية النص، أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2007م، (ص129).

(4) المرجع نفسه (ص129).

(5) المرجع نفسه (ص245).

(6) التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن

في الوقت ذاته لوك وهيجل وماركس وآخرون من علماء الاجتماع والمفكرين، الذين اتفقوا - رغم اختلافهم الذي يصل في بعض الحالات لدرجة التناقض - على ضرورة إعطاء العقل حقه في وضع تصوره عن الحياة والكون. وبانتصار هذا الاتجاه أصبح العقل هو الحاكم الوحيد على صحة الأشياء، بحيث تمت مرادفة سلامة الإدراك والتفسير للأشياء بالمعقول؛ على أساس أن المعقول يطلق على ما يتفق مع قواعد العقل. ونظراً لهذه المكانة العليا التي احتلها العقل في الخطاب الحديث؛ أصبح الإنسان (حامل العقل) في مواجهة مع الطبيعة، دون حاجة إلى ما وراءها.

فالعقلانية عند الحديثين من الغربيين ومن سايرهم من بني الإسلام أساس الحياة، والدين محكوم عليه بهيمنة العقل، وصارت الحداثة تستند إلى عدة خصائص منها «العقلانية؛ حيث يتجلى العقل بسيادته وهيمنته في مختلف جوانب الوجود الاجتماعي والسياسي تجلياً لمبادئ التنوير وقيمه»⁽¹⁾.

وصارت الحداثة تنطلق من عدة مواقف منها: «الإيمان بأن العقل هو مصدر تفوق الإنسان وتفرد في مملكة الكائنات الحية، ومن ثم الإيمان بأن الإنسان يستطيع عبر هذا العقل أن يطور العلوم والمعارف باتجاه السيطرة على الوجود والمصير»⁽²⁾.

(1) الإسلام وحوار المستقبل، محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، (ص27).

(2) مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة (ص14).

أسباب ظهور العلمانية في الغرب:

العلمانية في سياقها التاريخي إفراز فلسفي غربي، يمثل أحد أعمدة الحداثة في أوروبا، وقد كان ظهورها نتيجة عددٍ من الأسباب، منها:

الطغيان الديني:

حيث انفردت الكنيسة بادعاء الحق في التكلم باسم الرب، فحاربت كل الفرق المسيحية المخالفة لها.

لقد كان رجال الدين المسيحيون في القرن السابع عشر الميلادي يدّعون أنهم يحكمون بناء على أوامر ونواهٍ إلهية، وأن عندهم تفويضاً إلهياً بذلك، وأن لهم اتصالاً مباشراً مع الرب، فسيطروا على الدولة وأصبحت تحت رحمتهم. وهذه هي الحكومة الدينية أو الحكومة التيوقراطية.

الصراع بين الكنسية والعلم:

بسبب تعصب رجال الكنيسة الذين اعتبروا أنفسهم المصدر الوحيد للمعرفة، فتدخلوا فيما ليس من اختصاصهم؛ كالعلوم التجريبية البحتة وعلوم الفلك ونحوها، فأدخلوا في المفاهيم الدينية نظريات مغلوطة عن الكون والطبيعة مستمدة من نظريات فلسفية قديمة أو من أقوال القديسين القدامى؛ كنظرية بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون وأن الأجرام الباقية تدور حولها.

ثم تحولت الكنيسة بتحالفها مع قوى الإقطاع الظالمية إلى هيئة إقطاعية تحتها آلاف الهكتارات والثروات الهائلة، وأصبح همُّ رجال الدين الأساسي

الكريم: عرض ونقد، مني محمد بهي الدين الشافعي، دار اليسر، مصر، ط1، 1429هـ، (ص44).

هو الثروة وتوسيع دائرة نفوذهم وتسلطهم على الشعوب.

الفصل بين الدين والدولة من سمات المسيحية حتى قبل انتشار العلمانية:

لقد كانت في أوروبا سلطتان: سلطة سياسية يمثلها الرئيس أو الملك وأعوانه، وسلطة دينية يرأسها البابا ويساعده الرهبان والراهبات والقساوسة وغيرهم من رجال الدين. وكانت لها ميزانيتها وإقطاعها وثروتها.

وحتى بعد العلمانية لا زالت هذه السلطة على حالها إلى عصرنا، فللفاتيكان حكومة خاصة غير الحكومة السياسية، فالمسيحية منذ نشأتها ظلت ديناً لا دولة، وشرعية محبة، لا تقدّم للمجتمع مرجعية قانونية ولا نظاماً للحكم، ورسالة مكرسة لخلاص الروح، تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وظلت رسالة كنيسة خاصة بمملكة السماء، لا شأن لها بسلطان الأرض وقوانين تنظيم الاجتماع البشري في السياسة والاجتماع والاقتصاد وعلومها ومعارفها.

والحاصل أن العلمانية الأوروبية كانت رد فعل لصكوك الغفران والحرمان والطغيان الكنسي ومظالم الحكومة الدينية المتحذثة باسم الرب، والتي اعتبرت كل ما لم يرضه رجال الكنيسة مخالفاً للإرادة الإلهية⁽¹⁾.

فهذه الأسس السابقة للحداثة وإن أدّت إلى تقدم

(1) انظر: العلمانية - المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى باحو السلاوي المغربي، جريدة السبيل، المغرب، ط1، 2011م، (ص64 73).

مادي وعلمي؛ إلا إنها أثارت جدلاً حول تفكيك الروابط التقليدية، والقيم الدينية.

المبحث الثاني: نقد الحداثة من المنظور الإسلامي:

المطلب الأول: نقد القول بمركزية الإنسان:

يترتب على القول بمركزية الإنسان كأساس من أسس الحداثة كثير من القضايا التي تتعارض مع المنظور الإسلامي للإنسان:

إنهاء العلاقة بين العبد وخالقه:

انتشر قول نيتشه (ت: 1900م) مات الإله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -، وهذا من أبشع ما يترتب على هذه المركزية المفرطة من تحويل العلاقة بين الإله الخالق والمخلوق إلى وجهة غير صحيحة؛ وبهذا يفتتح نيتشه مرحلة الحداثة السائلة «إن الفلسفة الحديثة الحقبة - حسب تصور نيتشه - فلسفة تصدر عن فكرة موت الإله، أي: إنكار وجود أية نقطة ثابتة أو صلبة أو أية مرجعية متجاوزة، وهي فلسفة تبذل قصارى جهدها أن (تزيل ظلال الإله) التي تتبدى بالدرجة الأولى في أوهام المادية القديمة. فالواجب - من منظور نيتشه - هو التحرك داخل إطار مادي طبيعي صارم يتسم بالسيولة الكاملة، يساوي بين الأشياء كلها ويسويها... إن نيتشه حاول تحطيم كل ما كان الفلاسفة يسمونه في الماضي - أي قبل نيتشه - مقدساً وخيراً وحقاً وجميلاً ومطلقاً و كلياً، وذلك حتى يتسم القضاء تماماً لا على اليقين المعرفي والأساس الديني للأخلاق وحسب، وإنما يتم القضاء أيضاً على أي يقين معرفي، بل وعلى مفهوم

أو فكرة الأخلاق ذاتها، وعلى أية مركزية لأي شيء، إلهاً كان أم إنساناً، بل وعلى فكرة الوجود الثابت ذاتها، وفكرة الكل الذي يتجاوز الأشياء. أي أن العالم بذلك يصبح نسقاً سائلاً بلا يقين أو معنى أو غاية أو كينونة أو هوية، والإنسان يصبح بلا ذات، ولا حدود، ولا استقلال، ولا مركزية»⁽¹⁾.

فمن المعلوم أن الحداثة تضع الإنسان مركز الكون بدلاً من الإله، وهذا المفهوم لا يرتضيه الإسلام، فالإنسان ليس هو الغاية القصوى في ذاته، بل هو مخلوق مكرم، ومقابل هذا التكريم أنه مكلف أن يكون خليفة الله في الأرض. فمركزية الإنسان بمعناها الحديث تحوّل الإنسان إلى صاحب غاية ذاتية، وتُهمّش كونه مكلفاً ومسؤولاً.

كما أن التكريم الإنساني لا يتحقق إلا بإدراك علاقة الإنسان بخالقه؛ وليس بأن يصبح مركزاً مطلقاً في الكون.

لقد جاء الإسلام ليؤكد على أصالة الكرامة الإنسانية ويرسخ في الإنسان إحساسه بكرامته ويقوي تمسكه بها وصونه لها لأنها جوهر إنسانيته، فالإنسان في الإسلام هو محور الاهتمام، ولأجله جاء الدين وهو المخاطب به، فهو مكرم من خالقه لمجرد إنسانيته، وهذه قاعدة عامة في الإسلام، وهذا التكريم الإلهي الذي يعم البشرية قاطبة دون تمييز بجنس أو لون أو عرق أو دين أو أي سبب من أسباب التمييز التي يعرفها البشر مستمد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

(1) في نقد الخطاب الحداثي، عبد الله أداكوس، (ص 28-29).

﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ 1 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 1-2]، ووصف نفسه بالتكريم عند تربيته للإنسان فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي عَادَماً﴾ [الإسراء: 70]، ووصف نفسه بالكرم في آخر أحوال الإنسان فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ 6 الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 6-7]، وهذا يدل على أنه لا نهاية لكرم الله تعالى ولفضله وإحسانه مع الإنسان⁽²⁾.

نقد إلغاء المرجعية الإلهية والانفتاح على القيم البشرية:

فالحداثة غالباً ترى أن الإنسان (أو العقل البشري) يُمكنه أن يكون مقياس كل شيء، بمعنى أن الإنسان هو المرجع الأعلى للقيمة والمعنى في كل شيء، بينما المرجعية في الإسلام لكتاب الله -تعالى- وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وتبني مركزية الإنسان -كما في الحداثة- يؤدي إلى عزل الإنسان عن علاقة الخضوع والإقرار لله -تعالى- الذي وهبه العقل وكرمه به، وبذلك تحولت الحداثة إلى مشروع الإنسان الذي هو المركز وهو المسيطر المتحكم بعقله في الكون، وليس الإنسان الخاضع لله -تعالى- المفتقر إليه.

نقد هيمنة الإنسان على الكون والطبيعة، وآثارها الأخلاقية والبيئية:

عند القائلين بمركزية الإنسان في الكون يُنظر إلى الطبيعة على أنها مورد يملكه الإنسان ويُسيطر عليه، وغالباً ما تُعامل كأداة أو وسيلة لتحقيق

وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْأَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، فهذه الآية الكريمة تشكل القاعدة الأساسية في معرفة نظرية الإسلام في كرامة الإنسان.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] أي: يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه -وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه- وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية»⁽¹⁾.

فالآية دالة على أن الله شرف ذرية آدم على جميع المخلوقات بالعقل والعلم والهيئة البدنية والنطق وتسخير جميع ما في الكون له ولخدمته.

وقال الفخر الرازي: «كل ما حصل للإنسان من المراتب العالية والصفات الشريفة فهي إنما حصلت بإحسان الله تعالى وإنعامه، فلهذا المعنى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي عَادَماً وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْأَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70] ومن تمام كرامته على الله تعالى أنه سبحانه لما خلقه في أول الأمر وصف نفسه بأنه (أكرم) فقال:

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1420هـ - 1999م، (97/5).

(2) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، (374/21).

نقد إهمال البُعد الأخلاقي والروحيّ في التكوين الإنساني في الحداثة:

إذا كانت الحداثة تُركّز على الإنسان في بعده العقلي والعلمي كفرد متمكّن فقط، وتُهمّش البُعد الروحيّ والإلهيّ في الإنسان؛ فالنموذج الإنساني الحديث يصبح عملية تقنية وتقدّمًا ماديًا، أكثر منها تنمية معنوية. يوضّح هذا نقد ناسر بأن الحداثة «طبيّعت» الواقع المادي وأقصت البُعد الميتافيزيقيّ.

المطلب الثاني: نقد القول بالحرية المطلقة:

يرتكز مفهوم الحرية في الفكر الغربي الحديث في المقام الأول على استقلالية الإنسان التامة، والتعبير غير المقيد عن الرغبات الفردية له. وترجع فكرة هذا المفهوم إلى عصر النهضة والتنوير وصعود الفلسفة الليبرالية؛ التي وضعت الإنسان في مركز الكون باعتباره السلطة الوحيدة على أفعاله. وفي هذا الإطار يكون معنى الحرية: أن الفرد يجب أن يتمتع بالحرية الكاملة في اتخاذ القرارات في كل مجال من مجالات الحياة، دون الرجوع إلى الدين أو الأخلاق أو أي سلطة عليا.

وحدود هذه الحرية إنما يحددها العقل البشري أو سلطة الدولة أو النظام الاجتماعي، وكلها تظل عرضة للتغيير؛ لأنها لا تستند إلى الوحي أو المنهج الإلهي أو القيم الثابتة، وإنما تعتمد على ما يفضله البشر ويرون أنه الأحب إليهم، فأصبحت الحرية تقاس بمدى تحرر الفرد من السلطة الخارجية، بما في ذلك التحرر في بعض الأحيان حتى من أوامر الرب، وهو ما نراه اليوم واقعًا في بلاد الغرب.

أهدافه، أما الإسلام فيؤكّد على أن هذا الأمر أدى إلى ظهور الفساد على مستوى الفرد والجماعة، بيئيًا وأخلاقيًا، وإهلاك الحرث والنسل.

إن ابتعاد الإنسان عن منهج الله أدى به إلى ارتكاب الفواحش والمعاصي؛ لأن الله قد استخلفه في الأرض ومكّنه ليكون سيد المخلوقات والفاعل المؤثر في البيئة، وعندما يُعرض عن هدي الله يفسد ويُفسد البيئة من حوله، فيحدث الخلل والضرر في توازنها، وإن التزم بهدي الله صلح وصلحت معه البيئة، فإن فهم الإنسان البيئة فهمًا صحيحًا بكل عناصرها ومقوماتها ومعاملاتها المتبادلة؛ سعى لحمايتها وممارسة علاقاته بتوازن، والحصول على رزقه دون إتلاف أو إفساد؛ لأن تمسك الإنسان بعقيدته وكل ما تنطوي عليه ثقافته الدينية من قيم وآداب وأخلاقٍ وعلوم يجعله يحافظ على بيئته وعلى نظامها وعلى علاقته بها وبمن فيها.

إن جعل الحفاظ على البيئة قيمة أخلاقية إيمانية أكبر دافع للحفاظ عليها⁽¹⁾؛ «لأن الإنسان لا يقاد إلا من عقيدته ولا يخضع طواعية في السر والعلن إلا لسلطان الإيمان، لذلك عندما ينظر إلى الحفاظ على البيئة على أنه جزء من الإيمان وأنه دليل حسن الخلق، فإنه يحرص كل الحرص عليها»⁽²⁾.

(1) انظر: علاقة الإنسان بالبيئة، مقاربة أخلاقية، زهية دالي، مجلة روافد للبحوث والدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، الجزائر، المجلد (10)، العدد (1)، 2025م، (ص 44-45).

(2) أثر الأخلاق في الحفاظ على البيئة، أيمن محمد هاروش، القاهرة، 2013م، (ص 21).

نظر الإسلام تختلف تمامًا عن نظرة العالم الغربي المادي؛ لأنها تعني في الإسلام: الحرية في العبادة؛ إذ يقر الإسلام بحرية الإنسان في اختيار دينه، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، فالمسلم يعبد الله عن قناعة واختيار وليس بالإجبار: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6].

ويضمن الإسلام أيضًا الحرية في التعبير؛ فالإسلام يضمن حرية التعبير بما يتفق مع مبادئ الأخلاق؛ فالشخص له الحق في التعبير عن آرائه؛ ولكن دون الإضرار بالمجتمع أو نشر الأفكار الفاسدة، وفي حدود ما أمر الله جل في علاه.

والإسلام يضمن للإنسان كذلك حرية اتخاذ قراراته في الحياة، سواء كان في مجال العمل أو الزواج أو غيرها من المجالات؛ بشرط ألا تتعارض هذه الاختيارات مع شريعة الله تعالى.

فالمرجع في مفهوم الحرية وسائر المفاهيم إنما هو إلى الوحي الإلهي والشريعة الإسلامية، فحقوق الإنسان وواجباته لا بد أن تستمد من الشريعة الإسلامية التي تحدد تلك الحقوق والواجبات، فهي مصدرها الرئيس، فما هو من حق العبد إنما ثبت أنه حق له لأن الشرع أثبت ذلك له، وليس لكونه في الأصل مستحقًا له⁽¹⁾.

الغاية الأخلاقية والحدود الشرعية:

ترى الحادثة في كثير من سياقاتها أن الحرية ينبغي أن تكون (مستقلة) عن المرجعيات الدينية أو

فالحرية أهم القيم في الفكر الحداثي الغربي، وهي عند الحداثيين القدرة على اختيار أي نمط حياة أو أي سلوك دون قيد خارجي يستند على القيم أو سلطة أعلى.

لكن هذا المفهوم غير مقبول في الإسلام؛ لأن حرية الإنسان في الإسلام ليست مطلقة بمعزل عن التكليف والمسؤوليات والغاية من خلق الإنسان، وعلاقة الإنسان بخالقه وبالخلق.

ونقد «الحرية المطلقة» في الإسلام لا يعني رفضًا للحرية ذاتها؛ بل إعادة ضبطها وتهذيبها ضمن منظومة متكاملة تربط بين الحرية والالتزام وبين الاختيار والغاية.

فالحرية عندما تُعطى بلا ضوابط تؤدي إلى الفوضى الأخلاقية والاجتماعية؛ فلذا كانت الحرية المطلقة لا تتفق مع القيم والمبادئ التي يقرها الإسلام، لأنها تحتاج إلى ضوابط وحدود شرعية لئلا تتحلل ولا تُخل بنظام المجتمع.

الحرية في الإسلام أمانة ومسؤولية:

الحرية في الإسلام ليست انفصال كامل للفرد عن أي التزام؛ بل هي أمانة أُعطيت للإنسان من الله؛ يتحمل فيها مسؤولية اختياراته، فهي مسؤولية ووعي بالحق، والتزام به، ويترتب عليها الجزاء بالشواب أو العقاب.

وهي تتجسد في التحرر من عبودية الهوى والشهوات، والاعتراف بحرية العبودية لله تعالى وحده؛ بما يضمن للمسلم حياة مليئة بالسلام الداخلي والأمن والطمأنينة، والعدالة والمساواة. فالحرية في

(1) انظر: الموافقات، الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417 - 1997م، (104/3)

الأخلاقية التقليدية.

إلى الله بالمعرفة وبالتعب له تعالى⁽¹⁾.

وهذا مفهوم خاطئ؛ فالحرية قيمة إنسانية ترتبط بثقافة مجتمعاتها وهويتهم وتوجهاتهم الفكرية، وقد أجمعت القوانين الوضعية على اعتبارها حقاً من حقوق الأفراد.

فأما الحرية التي يروج لها الغرب اليوم والتي باتت تأخذ طابعاً إلزامياً عن طريق مؤسسات دولية متحكم فيها تطرح العديد من الأسئلة الأخلاقية على المجتمعات العربية.

وأما الحرية في الإسلام فإنها مرتبطة دائماً بغاية وهي: أن للفعل الإنساني بُعداً أخلاقياً يُحاسب عليه الفرد ويُجازى عليه بالشواب أو العقاب، وليس مجرد قدرة وتمكن على الفعل، فالإسلام لا يرى أن كل حرية بلا ضابط هي خير، بل لا بد لها من ضوابط مستمدة من الشريعة والعدل والمصلحة العامة؛ لتكون خيراً على الفرد والمجتمع.

فالحرية إذن؛ لا تعني الانفلات من الضوابط الأخلاقية والإنسانية، وإنما تعني امتلاك القدرة على التعرف والاختيار وفقاً لقواعد عقلية أو ضوابط شرعية، فهي تتجه إلى الكمال والحسن، وليس إلى التخريب والهدم، وإلى الانسجام مع النظام الإلهي في الكون والمجتمع وليس إلى الخروج عنهما، «فحرية الإنسان كما يراها الإسلام؛ هي في وعيه بالفطرة التي فُطر عليها، وفي تشغيل قواه الفطرية في معرفة الحقيقة في آيات الله تعالى طلباً لمعرفة الله والإسلام له وحده تعالى، ومن المنظور تحرره من تعظيم ما يعظمه البشر بمعرفته كما هو في حقيقته، وتوجهه

«إن الحرية ليست مفهوماً أنتجه المجتمع بتطوره، أو ثمرة اتجاه فكري محدد، إنما هي قيمة انبثقت عن مصادر محددة، إن مصادر الإلزام الأخلاقي هي الوحي والعقل والضمير، وكل هذه المصادر تقرر حرية الإنسان وتؤكد لها؛ لأن أفعاله لن تكون أخلاقية إلا إذا انبثقت من أعماقه، وكانت ثمرة يانعة لنيته وإرادته بلا تكلف ولولا الحرية لم يكن للإنسانية أثر»⁽²⁾.

فليست الحرية رخصة لنفعل ما نريد أن نفعله وقت ما نريد، إنما هي القوة أن نفعل ما يجب علينا أن نفعله من أجل الخير لنا ولغيرنا.

وقد بيّن الإسلام علاقة الحرية بالمسؤولية؛ فهي علاقة تلازم وتكامل، لتكون حرية الإنسان إرادة خيرة فاعلة في مسؤولياته بالرغبة والافتناع، وتكون المسؤولية استثماراً عاقلاً ونافعاً لإرادته الحرة، من أجل مصلحة الفرد والجماعة والمجتمع والأمة والإنسانية جميعاً.

أما الحرية المطلقة بغير قيود ولا حدود؛ فهي سلوك فوضوي عشوائي هادم ومفسد ومدمر، لا يليق بكرامة الإنسان صاحب الرسالة والمسؤولية، ولا بحياته ومجتمعه، فالحرية والمسؤولية متلازمان.

وقد أكد السلف ذلك من خلال ما أثار عنهم

(1) مقال: الإسلام ومسيرة الحضارة البشرية، علي عيسى عثمان، جريدة الحياة اللندنية، العدد (13160)، الجمعة 19 مارس 1999م.

(2) مقال: الحرية والمسؤولية في الإسلام، على الموقع الإلكتروني مسك، (ص2).

الإلهية، ويُصبح الإنسان هو المرجع لنفسه.

المطلب الثالث: نقد القول بنسبية الأخلاق:

من أبرز الأسس التي قامت عليها الحداثة القول بنسبية القيم الأخلاقية؛ أي أن الأخلاق ليست مطلقة ولا تستند إلى معيار ثابت خارج الإنسان، بل تختلف باختلاف الثقافات والأزمنة والمجتمعات، فلا يوجد خيرٌ وشرٌّ في ذاتهما، وإنما تُحددهما الرؤية الاجتماعية أو المصلحة المتغيرة.

هذا المبدأ يؤدي في عمقه إلى إلغاء المرجعية العليا التي تضبط السلوك الإنساني، وتحول الأخلاق إلى مجرد عُرف اجتماعي متغير ومتحول، يتنافى مع مبدأ ثبات الأصول والقيم المستندة إلى الوحي الإلهي الذي يقرره الإسلام، مما يفتح الباب لتفكك المعايير الأخلاقية المشتركة التي تُعتبر ركيزة لاستقرار الاجتماعي، وهذا غير مقبول في الإسلام.

نقض الأساس المعرفي:

إن القول بنسبية الأخلاق يؤدي إلى سقوط معيار الصواب والخطأ، إذ لا يبقى مقياس يُحكم إليه عند التعارض بين القيم، فإذا كان القتل أو الكذب أو الظلم نسبياً فلا معنى عندئذٍ للحكم الأخلاقي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن جعل ما يؤلهه هو ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه، أي جعل معبوده هو ما يهواه، وهذا حال المشركين الذين يعبد أحدهم ما يستحسنه، فهم يتخذون أندادا من دون الله يحبونهم كحب الله»⁽³⁾.

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، 1425هـ -

من أن الحرية هي الأصل وما دونها استعباد، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ولا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً)⁽¹⁾. وأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)⁽²⁾.

فحرية يقابلها استعباد لا يستقيم معها دين أو عدل أو أخلاق.

آثار الحرية المطلقة:

للحرية المطلقة آثار سيئة على مستويات عدة، فهي:

○ على المستوى الفردي: الحرية المطلقة تجعل الفرد في مركزٍ منزوع المرجعية، «صانع نفسه» أو «خالق قيمه»، وهو ما يفرغ الإنسان من معنى المسؤولية أمام الله تعالى.

○ على المستوى الاجتماعي: تفكك القيم المشتركة بين الأفراد في المجتمع، وتنتج عنها الفردانية المتطرفة، وتضعف الروابط الأخلاقية والالتزام نحو الجماعة والمجتمع.

○ على المستوى الروحي: تُهمل دور التوحيد وأثره، وعلاقة العبد بالخالق عندما تمحو المرجعية

(1) أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار مكتبة الحياة، 1986م، (ص330).

(2) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المبرد الحنبلي، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط1، 1420هـ - 2000م، (473/2).

إن القول بنسبية الأخلاق وإن بدا ظاهره تحرراً من التسلط؛ إلا أنه في حقيقته يفرغ الإنسان من المعنى والغاية، ويُحوّل الضمير إلى أداة نفعية يسيّر بها هوى الإنسان وشهواته.

أما الإسلام فيُعيد بناء الأخلاق على أساس ثابت هو معرفة الله وعبادته، مع انفتاح رحيم على الاجتهاد في تحقيق المقاصد، فلا قيمة لأخلاق بلا مرجعية، ولا حرية بلا مسؤولية، ولا إنسانية بلا عبودية لله تعالى.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ويطيب لي في نهاية هذا البحث أن أسجل النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

1. إن الإسلام يمتلك من الخصائص والميزات ما يسمح له بأن يواجه تحديات الحداثة عبر منهج التجديد والاجتهاد، الذي يحافظ على الأصل والقيم، ويقدم حلولاً واعية لمشكلات العصر.
2. الحداثة ليست مجرد حركة فكرية وفلسفية؛ بل هي منظومة ذات جذور عقديّة، ومادية، وسياسية، واجتماعية، وثقافية.
3. إن الأسس التي قامت عليها الحداثة الغربية تتناقض مع مبادئ الإسلام وأصوله وقواعده ومقاصده، ومفاهيمه للوجود والمعرفة والإنسان، والحياة.
4. إن الحداثة لا تعطي الجانب الروحي أي اهتمام

وهذا النصّ يعبر بدقة عن خطورة نسبية القيم، إذ تجعل الهوى الإنساني معياراً بديلاً عن الوحي.

إلغاء المسؤولية الفردية:

إذا لم تكن هناك أخلاق مطلقة؛ فلا مجال للحساب والشواب والعقاب؛ لأن الفعل لا يوصف بالخير أو الشر إلا نسبياً، وهذا يناقض مبدأ التكليف الشرعي الذي يقوم على الإرادة الحرة المسؤولة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ 7 وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7-8]، فدلّ النصّ على وجود معيار ثابت للخير والشر.

الفوضى الاجتماعية:

إن القول بنسبية الأخلاق تجعل القيم الاجتماعية عرضة للتفكك والانحيار وعدم الالتزام، وتؤدي إلى الفوضى القيمية، إذ لا يستطيع المجتمع بناء نظام عدالة أو حقوق ثابت على أساس متغير غير مُلزم للجميع، كما أن القول بنسبية القيم ينقض غاية الإنسان وهي الاستخلاف في الأرض؛ لأنه يُبطل وجود مرجعية عليّة تُقوّم سلوكه⁽¹⁾.

فالقيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية ثابتة، وهي مستمدة من الوحي، مثل: الصدق والعدل والأمانة والرحمة، وهي تتسم بالمرونة بحسب المقاصد والظروف، دون المساس بجوهر القيم.

وعليه؛ فالأخلاق في الإسلام موضوعية في أصلها، واقعية في تطبيقها، لأن الله تعالى جعلها قائمة على الفطرة والعقل والوحي، لا على العرف المتغيّر.

- يذكر، وهي في معزل عن الآخرة تمامًا. 2. أوصي بتبني الجامعات لمقرر: «المفاهيم المعاصرة: رؤية نقدية في ضوء الإسلام»، لتعزيز الوعي النقدي لدى طلبة العلم.
5. كان للحدث تداعيات اجتماعية كارثية على الأسرة وانحلال مفهومها التقليدي إلى صور لا يقبلها عقل ولا دين، حيث رعت الشذوذ والانحلال الأخلاقي والمثلية وغيرها.
3. دراسة أثرت تبني هذه المفاهيم وشيوعها في بعض دول العالم الإسلامي.
6. الإسلام لا يرفض التطور والنهضة، وإنما يضبطهما بـقيم العبودية والاستخلافاً للعدل.
7. الحرية في الإسلام قيمة إنسانية غلياً لا ينبغي السطو عليها وتحويلها عن وجهتها.
8. الإسلام يقدم بديلاً متوازناً يجمع بين العقل والوحي، وبين الحرية والمسؤولية، وبين التقدم والثبات القيمي.
9. الإنسان في الإسلام أيّاً كان دينه أو عرقه مخلوق مكرم له حقوق وعليه واجبات.
10. الحداثة الغربية أسهمت في التقدم المادي لكنها أحدثت فراغاً روحياً وأخلاقياً، وهو ما يُعالج بالعودة إلى مرجعية ثابتة ومنهج إلهي صحيح لم يتبدل ولم يُحرّف.
4. أزمة الحداثة الغربية، عبد العزيز بوالشعير، مجلة إسلامية المعرفة، العدد (79)، 2014م.
5. الإسلام وحوار المستقبل، محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
6. الإسلام ومسيرة الحضارة البشرية، علي عيسى عثمان، جريدة الحياة اللندنية، العدد (13160)، الجمعة 19 مارس 1999م.
7. الاغتراب والأنسنة في مفهوم الفردانية: المغامرة الفكرية الفردانية في الثقافة الغربية، علي أسعد وطفة، مجلة تعريب، المجلد (15)، العدد (28)، 2005م.

ثانيًا: التوصيات:

من توصيات البحث:

1. إنشاء مراكز بحثية تُعنى بدراسة الأصول والمبادئ والمفاهيم الإسلامية المستندة إلى الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح، وتوظيفها في نقد الأفكار والمذاهب المعاصرة الهادمة لسلامة الأفراد والمجتمعات.
2. إنشاء مراكز بحثية تُعنى بدراسة الأصول والمبادئ والمفاهيم الإسلامية المستندة إلى الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح، وتوظيفها في نقد الأفكار والمذاهب المعاصرة الهادمة لسلامة الأفراد والمجتمعات.

8. آلام العقل الغربي، ريتشارد تارناس، ترجمة: فاضل جكتر، مكتبة العبيكان وكلمة، 2010م.
9. تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج، ترجمة: أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، ط3، 1994م.
10. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي، 2012م.
11. تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند راسل، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين، ط1، 2020م.
12. تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، رقم (82)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1963م.
13. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1420هـ - 1999م.
14. التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
15. التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم: عرض ونقد، منى محمد بهي الدين الشافعي، دار اليسر، مصر، ط1، 1429هـ.
16. الحداثة في العالم العربي (دراسة عقدية)، محمد العلي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1415هـ.
17. الحداثة وما بعد الحداثة، محمد سيلا، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2000م.
18. الحرية والمسؤولية في الإسلام، على الموقع الإلكتروني مسك.
19. الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، عطيات أبو السعود، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2002م.
20. دروب ما بعد الحداثة، بدر الدين مصطفى، مؤسسة هنداوي، 2018م.
21. دروس في الفلسفة، يوسف كرم، وإبراهيم مذكور، عالم الأدب، بيروت، 2016م.
22. دور الاعلام في تفعيل ثقافة ترشيد الاستهلاك، إيمان سوكال، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، الجزائر، العدد (47)، 2016م.
23. روح الحداثة، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العرب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.
24. زمن الشعر، أدونيس، دار العودة، بيروت، 1983م.
25. سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، عماد عبد الغني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2017م.
26. علاقة الإنسان بالبيئة، مقارنة أخلاقية، زهية دالي، مجلة روافد للبحوث والدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، الجزائر، المجلد (10)، العدد (1)، 2025م.

27. العلمانية - المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى باحو السلاوي المغربي، جريدة السبيل، المغرب، ط1، 2011م.
28. العلمانيون والقرآن الكريم: تاريخية النص، أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2007م.
29. الفردانية: قراءة في المفهوم والتمظهرات، مفيدة خروبي، مجلة مجتمع تربية عمل، جامعة ورقلة، الجزائر، المجلد (8)، العدد (1)، 2023م.
30. الفلسفة الألمانية، أندرو بووي، ترجمة: محمد سلامة، مؤسسة هنداي، 2014م.
31. في نقد الخطاب الحديث، عبد الله أدالكوس، المركز الثقافي العربي، ط1، 2014م.
32. قاموس المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1967م.
33. قصة الحضارة، ويل ديورانت، ترجمة: فؤاد أندراوس، ج27، دار الجيل، 1988م.
34. قصة الفلسفة، ويل ديورانت، دار الوطن، 2018م.
35. القول الفلسفي، هابرماس، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1995م.
36. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر، بيروت.
37. ما بعد الحداثة والتنوير، الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2009م.
38. ما بعد الحداثة، باسم علي خريسان، دار الفكر، دمشق، ط1، 2006م.
39. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1425هـ - 2004م.
40. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المبرد الحنبلي، تحقيق: عبد العزيز بن عبد المحسن، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط1، 1420هـ.
41. مدخل إلى المادية الجدلية، موريس كورنفورث، ترجمة محمد مصطفى، دار الفارابي، ط5، 2015م.
42. مظاهر الانعكاس السلبي لقيم الحداثة الغربية على الإنسان المعاصر: (الحرية، الفردانية)، محمد الأمين بكلي، ومصطفى وينتن، مجلة الشهاب، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد (11)، العدد (2)، 2025م.
43. مفهوم الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، نورة عابد، مخبر الفلسفة وتاريخها، جامعة وهران 2.
44. مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، محمد عبد الله الشيخ، ياسر الطائري، دار الطليعة،

بيروت، 1996م.

45. مقاربات في مفهومي الحادثة وما بعد الحادثة،

علي أسعد وطقة، 2010م.

46. مهمة فرويد، إريك فروم، ترجمة: طلال

عتريسي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر والتوزيع، ط2، 2002م.

47. الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن

محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: مشهور بن

حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ-

1997م.

48. نقد الحادثة في فكر هايدجر، محمد الشيخ،

الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2008م.

49. نقد الحادثة، آلان تورين، ترجمة: أنور مغيث،

المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 1977م.

50. نقد يورغن هابرماس للحادثة، زهيرة بن

تيشة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2017م.

